قصة أصحاب القرية في سورة يس: دراسة في رواياتها التفسيرية والتاريخية ولطائفها البلاغية

Yâsîn Sûresinde Ashâbu'l-Karye Kıssası: Tefsir ve Tarih Rivayetleri ile Belâgî İncelikleri

The Story of the People of the Town in Sūrat Yā-Sīn: Its Exegetical and Historical Narratives and Rhetorical Subtleties

جودة تمركان جمن
Cevdet Tümerkan Çimen

الملخص

يتناول هذا البحث قصة أصحاب القرية التي وردت في سورة يس (الآيات 13-29)، والمعروفة كذلك بقصة حبيب النجار. ويهدف إلى جمع ما أورده المفسرون والمؤرخون من روايات في اسم القرية، وهوية الرسل الثلاثة الذين أُرسلوا إليها، والرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى، ثم صياغة هذه الروايات في سياق قصصي متصل مع عزو كل خبر إلى مصدره. وقد اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي في جمع المادة من كتب التفسير والتاريخ، وعلى المنهج التحليلي في عرضها وبيان ما في الآيات من لطائف بلاغية. وتبيّن من خلاله أن الروايات تختلف اختلافًا واسعًا في تعيين القرية، وأسماء الرسل، وصفة الرجل المؤمن، وكيفية قتله، وأن الآيات اشتملت على لطائف بلاغية متعددة، منها: تدرّج التأكيد بحسب حال المخاطَب، والحذف، والاستفهام، والاستعارة. كما استخلص البحث جملة من الدروس والعبر المتعلقة بالدعوة، والصبر على الأذى، وسنة الله في المكذبين.

الكلمات المفتاحية: التفسير، القصص القرآني، سورة يس، أصحاب القرية، حبيب النجار، البلاغة القرآنية.

Öz

Bu çalışma, Yâsîn sûresinin 13-29. âyetlerinde anlatılan ve Habîb en-Neccâr kıssası olarak da bilinen Ashâbu'l-karye kıssasını konu edinmektedir. Çalışmada müfessir ve tarihçilerin karyenin adı, oraya gönderilen üç elçinin kimliği ve şehrin öbür ucundan koşarak gelen adam hakkında naklettiği rivayetler bir araya getirilmiş ve her haber kaynağına nispet edilerek bütünlüklü bir anlatı hâline getirilmiştir. Tefsir ve tarih kaynaklarından malzemenin toplanmasında tümevarım yöntemi, bu malzemenin sunulmasında ve âyetlerdeki belâgî inceliklerin ortaya konmasında ise tahlil yöntemi kullanılmıştır. Çalışma, karyenin tayini, elçilerin adları, mümin adamın vasıfları ve öldürülme şekli hususunda rivayetlerin büyük ölçüde farklılaştığını; âyetlerin muhatabın durumuna göre derecelenen tekid, hazf, istifham ve istiare gibi belâgî incelikler barındırdığını göstermektedir. Ayrıca kıssadan tebliğ, eziyete sabır ve yalanlayanlar hakkındaki ilâhî sünnete dair çeşitli dersler çıkarılmıştır.

Anahtar Kelimeler: Tefsir, Kur'an kıssaları, Yâsîn sûresi, Ashâbu'l-karye, Habîb en-Neccâr, Kur'an belâgatı.

Abstract

This study examines the story of the People of the Town (Aṣḥāb al-Qarya) narrated in Sūrat Yā-Sīn (36:13-29), also known as the story of Ḥabīb al-Najjār. It gathers the reports transmitted by exegetes and historians concerning the name of the town, the identity of the three messengers sent to it, and the man who came

running from the farthest end of the city, and arranges these reports into a coherent narrative, attributing each report to its source. The material was collected inductively from works of tafsīr and history and then analysed, with attention to the rhetorical subtleties of the verses. The study shows that the reports differ widely on the identity of the town, the names of the messengers, the description of the believing man and the manner of his killing, and that the verses contain various rhetorical features such as graded emphasis according to the addressee's state, ellipsis, rhetorical interrogation and metaphor. It also draws a number of lessons concerning preaching, patience in the face of persecution, and God's way with those who deny His messengers.

Keywords: Tafsīr, Qur'anic narratives, Sūrat Yā-Sīn, People of the Town, Ḥabīb al-Najjār, Qur'anic rhetoric.

المقدمة

الحمد لله على جزيل نعمائه، أحمده على جليل آلائه، وأشكره على جميل بلائه، وأشهد أن لا إله إلا هو شهادةً أعدّها ليوم لقائه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، سيد رسله وخاتم أنبيائه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأصفيائه. أما بعد:

فإن القصص القرآني من أعظم وسائل القرآن الكريم في الهداية والتذكير؛ إذ يعرض أحوال الرسل مع أقوامهم وسنن الله تعالى في الأمم. ومن هذه القصص قصة أصحاب القرية التي ذكرها الله تعالى في سورة يس، وتُعرف كذلك بقصة حبيب النجار. ويتناول هذا البحث هذه القصة من خلال ما ورد في كتب التفسير والتاريخ، ويقف على ما في آياتها من لطائف بلاغية، وما تتضمنه من دروس وعبر.

منهج البحث

سار البحث وفق الخطوات الآتية:

- اختيار عدد من كتب التفسير والتاريخ بالاستعانة بالمكتبة الشاملة.
- قراءة ما يتعلق بالقصة في هذه الكتب واستقصاء رواياتها.
- انتقاء أهم ما ورد فيها، ثم ترتيبه ترتيبًا منتظمًا حتى صار قصة متصلة، مع عزو كل خبر إلى مصدره.
- إفراد مبحث مستقل للطائف البلاغية في الآيات.
- استخلاص جملة من الدروس والعبر من القصة ومن الآيات المتعلقة بها.
- توثيق المصادر وفق نظام إسناد (İSNAD) للتوثيق، وإثباتها في قائمة المصادر والمراجع.

خطة البحث

جاء البحث في مقدمة، وستة مباحث، وخاتمة: تناول المبحث الأول القرية والرسل المرسَلين إليها، والثاني موقف أهل القرية من الرسل، والثالث الرجل الذي جاء من أقصى المدينة، والرابع هلاك أهل القرية، والخامس اللطائف البلاغية في الآيات، والسادس الدروس والعبر المستفادة من القصة ثم ختم البحث بأهم النتائج.

نص الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ (١٤) قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٦) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٧) قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨) قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ

أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (١٩) وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٢١) وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ (٢٣) إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٤) إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (٢٥) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧) وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ (٢٨) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (٢٩)﴾ [يس: 13-29].

المبحث الأول: القرية والرسل المرسَلون إليها

أولًا: اسم القرية

اشتهر عند كثير من السلف والخلف أن هذه القرية هي أنطاكية،[1] وكان بها -فيما ذكروا- فرعون يقال له أنطيخس بن أنطيخس، يعبد الأصنام.[2] غير أن بعض العلماء استشكل كونها أنطاكية؛ لأن أهل أنطاكية آمنوا برسل المسيح إليهم، وكانت أول مدينة آمنت بالمسيح، في حين أخبر القرآن أن أهل هذه القرية كذّبوا رسلهم فأهلكهم الله بصيحة واحدة.[3]

ثانيًا: الرسل الثلاثة

أرسل الله تعالى إلى هذه القرية رسله لهداية أهلها، وقيل: إن عيسى ابن مريم عليه السلام بعثهم من الحواريين إلى أنطاكية.[4] واختُلف في أسمائهم اختلافًا كبيرًا؛ فقيل: هم صادق، ومصدوق، وشلوم أو سلوم،[5] وقيل: كان الرسولان الأولان يوحنا وبولص، والرسول الثالث شمعون،[6] وقيل: شمعون ويوحنا، واسم الثالث بولس،[7] وقيل: هما تومان وطالوس، والثالث شمعون.[8]

ورُوي أن الرسولين لما قربا من المدينة رأيا شيخًا يرعى غنمًا، فسألهما عن شأنهما فأخبراه، فقال: ما آيتكما؟ قالا: نشفي المريض، ونبرئ الأكمه والأبرص. وكان للشيخ ولد مريض منذ سنتين، فمسحاه فبرئ، فآمن الشيخ، وفشا الخبر، فشفى الله على أيديهما خلقًا كثيرًا.[9] وذكر الرازي أن هؤلاء الرسل أقرب مَن أُرسل إلى قوم قبل زمان محمد صلى الله عليه وسلم.[10]

المبحث الثاني: موقف أهل القرية من الرسل

كذّب أهل القرية الرسل جميعًا، واحتجوا عليهم ببشريتهم، فقالوا لهم: أنتم بشر مثلنا تأكلون الطعام وتمشون في الأسواق، فمن أين لكم مزية تختصون بها علينا حتى تدّعوا الرسالة؟ وما أنزل الرحمن

---

[1] أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي (د.م: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1417-1420هـ)، 2/11.

[2] أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني - إبراهيم أطفيش (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، 1384/1964)، 15/14.

[3] أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، وضع حواشيه: محمد حسين شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419/1998)، 6/509.

[4] أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا - مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1412/1992)، 2/31.

[5] أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (مكة المكرمة: دار التربية والتراث، د.ت)، 20/500.

[6] وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (دمشق: دار الفكر؛ بيروت: دار الفكر المعاصر، ط1، 1411/1991)، 22/302.

[7] ابن كثير، البداية والنهاية، 2/11.

[8] أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي، بحر العلوم (د.م: د.ن، د.ت)، 3/118.

[9] نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: زكريا عميرات (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ)، 5/528.

[10] فخر الدين محمد بن عمر الرازي، مفاتيح الغيب (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420هـ)، 26/260.

إليكم رسالة ولا كتابًا مما تدّعونه ويدّعيه غيركم من الرسل وأتباعهم، وما أنتم فيما تدّعونه من الرسالة إلا كاذبون.[11]

فأجابهم الرسل بأنه ليس عليهم إلا أن يبلّغوهم ما أُرسلوا به إليهم، ولا يجب عليهم إلا تبليغ الرسالة بلاغًا واضحًا؛ فإن استجابوا كانت لهم سعادة الدارين، وإن لم يستجيبوا فسيعلمون عاقبة تكذيبهم.[12] فقال أهل القرية: إنا تشاءمنا بكم، ولم نر على وجوهكم خيرًا في عيشنا؛ وكان سبب ذلك أن المطر حُبس عنهم.[13] وقالوا: لقد فرّقتمونا وأوقعتم الخلاف بيننا، ولئن لم تتركوا هذه الدعوة وتُعرضوا عن هذه المقالة لنرجمنكم بالحجارة، وليصيبنكم منا عذاب مؤلم أو عقوبة شديدة.[14]

ولم ييأس رسل الله، بل ظلوا يحاولون هداية أهل القرية، فقالوا لهم: شؤمكم مردود عليكم، وهو معكم ومنكم؛ فسببه تكذيبكم وكفركم لا نحن. أَمِن أجل أننا ذكّرناكم وأمرناكم بتوحيد الله وإخلاص العبادة له ادّعيتم أن فينا الشؤم عليكم، وتوعدتمونا وهددتمونا؟ بل الحق أنكم قوم جاوزتم الحد في مخالفة الحق، وأسرفتم في الضلال، وتماديتم في الغي والعناد.[15]

المبحث الثالث: الرجل الذي جاء من أقصى المدينة

أولًا: مجيئه

أخذ بعض أهل القرية يتساءلون عن هذه الدعوة، وعن الله الإله الواحد، وعن الآلهة التي يعبدونها هم وآباؤهم، وأُثيرت حول دعوة الرسل ضجة كبيرة، فسمع بذلك رجل كان يسكن أبعد أطراف المدينة.[16] وقد أدخل الله الإيمان قلبه فآمن به، فجاء إلى أهل القرية يُسرع في مشيه لمّا سمع بخبر الرسل،[17] يدعوهم كذلك إلى عبادة الله وحده.

ثانيًا: اسمه وصفته

كان اسمه حبيب بن مُرّي، وقيل: هو نبي أصحاب الرسّ المذكور في سورة الفرقان.[18] وقيل: كان يعمل الجرير، وكان رجلًا سقيمًا قد أسرع فيه الجذام، وكان منزله عند باب من أبواب المدينة قاصيًا، وكان مؤمنًا ذا صدقة، يجمع كسبه إذا أمسى -فيما يذكرون- فيقسمه نصفين: فيُطعم عياله نصفًا، ويتصدق بنصف.[19]

واختُلف في سبب إيمانه؛ فقيل: هو الذي عاش ابنه بعد الموت بدعاء الرسل، فجاء وأسلم، وقيل: كان ابنه مريضًا فبرئ بدعوة الرسل فصدّق بهم، وقيل: كان في غار يدعو ربه، فلما بلغه مجيء الرسل أتاهم.[20] والأظهر أنه كان نجارًا، ولذلك عُرف بحبيب النجار.[21]

---

[11] الزحيلي، التفسير المنير، 22/302.

[12] الزحيلي، التفسير المنير، 22/303.

[13] أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1422هـ)، 3/521.

[14] الزحيلي، التفسير المنير، 22/303.

[15] الزحيلي، التفسير المنير، 22/304.

[16] الزحيلي، التفسير المنير، 22/304.

[17] الزحيلي، التفسير المنير، 22/304.

[18] شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي = عناية القاضي وكفاية الراضي (بيروت: دار صادر، د.ت)، 7/234.

[19] الطبري، جامع البيان، 20/504.

[20] السمرقندي، بحر العلوم، 3/120.

[21] إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي، روح البيان (بيروت: دار الفكر، د.ت)، 7/383.

ثالثًا: دعوته لقومه

قال ناصحًا لقومه: يا قوم، اتبعوا رسل الله الذين أتوكم لإنقاذكم من الضلال، وهم مخلصون لكم في دعوتهم؛ فلا يطلبون أجرًا ماليًّا على إبلاغ الرسالة، وهم على منهج الحق والهداية فيما يدعونكم إليه من عبادة الله وحده لا شريك له.[22]

وهكذا قرر هذا الرجل أن ينصر دعوة الله ورسله الذين كذّبهم أهل القرية، وأخذ يحاورهم بأن الله هو الذي خلقهم، فكيف يُعبد غيره من أصنام لا تضر ولا تنفع، ولا تستطيع الكلام ولا حماية نفسها من أي أذى؟ وقال: ما الذي يمنعني من إخلاص العبادة للذي خلقني، وإليه المرجع والمآل يوم المعاد، فيجازيكم على أعمالكم: إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر؟ لن أتخذ من دون الله آلهة أعبدها وأترك عبادة من يستحق العبادة، وهو الذي فطرني وخلقني؛ فإن أرادني الرحمن بسوء لم تنفعني شفاعة هذه الأصنام التي تعبدونها، ولم تخلّصني من ورطة السوء؛ إذ لا تملك من الأمر شيئًا، فلا تدفع الضرر ولا تمنعه، ولا تجلب النفع، ولا تنقذ أحدًا مما هو فيه. وإن اتخذتُ هذه الأصنام آلهة من دون الله فإني في الحقيقة والواقع في خطأ واضح، وجهل فاضح، وانحراف عن الحق.[23] ثم أعلن إيمانه أمام أهل القرية جميعًا.[24]

رابعًا: مقتله وجزاؤه

فما كان من أهل القرية إلا أن قتلوه، واختلفت الروايات في كيفية قتله؛ فقيل: طرحوه ووطئوه بأقدامهم حتى خرج قُصْبه من دبره،[25] وقيل: نشروه بالمنشار،[26] وقيل: رجموه بالحجارة،[27] وقيل: وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه.[28]

وكان يقول: اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون، فلم يزالوا به حتى مات رحمه الله. فقال الله تكريمًا له بعد قتله: ادخل الجنة؛ لاستشهادك في سبيل إعلان الحق، فدخلها وهو يُرزق فيها. فلما عاين نعيمها قال: يا ليت قومي يعلمون بمآلي وحسن حالي وحميد عاقبتي، فيؤمنوا مثل إيماني، فيصيروا إلى مثل ما أنا فيه من نعيم، وليتهم يعلمون بما أنعم الله عليّ من مغفرة ذنوبي، وبما جعلني فيه من زمرة المكرمين المقربين من الشهداء الذين منحهم ربهم الثواب الجزيل والفضل العميم. وهذا شأن المؤمن المخلص: يحب الخير للناس جميعًا، فلا تلقى المؤمن إلا ناصحًا.[29]

المبحث الرابع: هلاك أهل القرية

أراد الله تعالى أن ينتقم لرسله وللرجل الصالح، فلم يُنزل على قوم حبيب النجار -بعد قتلهم إياه لدعوته لهم إلى الإيمان بالله- جندًا من الملائكة، وما كان الله بحاجة إلى هذا الإنزال، بل كان الأمر أيسر عليه من ذلك، وقد سبق قضاؤه بإهلاكهم بالصيحة لا بإنزال الجند. وفي هذا تحقير لشأنهم؛ فإن إنزال الملائكة إنما يكون لعظائم الأمور، وهؤلاء لا يحتاج إهلاكهم إلى جند من السماء، بل أُهلكوا بصيحة واحدة،[30] فماتوا جميعًا.

المبحث الخامس: اللطائف البلاغية في الآيات

1. التقدير في قوله تعالى: ﴿أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾: نقل الرازي عن الزمخشري في «الكشاف» أن المعنى: واضرب لهم مثلًا مثلَ أصحاب القرية، فتُرك «المثل» وأقيم «الأصحاب» مقامه في الإعراب، كقوله

---

[22] الزحيلي، التفسير المنير، 22/304.

[23] الزحيلي، التفسير المنير، 22/304.

[24] الزحيلي، التفسير المنير، 22/304.

[25] المطهر بن طاهر المقدشي، البدء والتاريخ، اعتنى بنشره: كليمان هوار (باريس: أرنست لرو، 1899-1919م)، 3/130.

[26] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 15/19.

[27] الطبري، جامع البيان، 20/507.

[28] أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك (مصر: دار المعارف، ط2، 1387/1967)، 2/20.

[29] الزحيلي، التفسير المنير، 22/305.

[30] الزحيلي، التفسير المنير، 22/305.

تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: 82]ثم ذكر أنه يحتمل أن يقال لا حاجة إلى الإضمار، بل المعنى: اجعل أصحاب القرية لهم مثلًا، أو مثّل أصحاب القرية بهم.[31]

2. إعراب «إذ» في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾: «إذ» منصوبة على أنها بدل من ﴿أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾، فكأنه تعالى قال: واضرب لهم وقت مجيء المرسلين، ومثّل ذلك الوقت بوقت مجيئك. وهذا أيضًا قول الزمخشري، وهو على القول بأن هذا المثل مضروب لنفس محمد صلى الله عليه وسلم.[32]

3. الحذف في قوله تعالى: **﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾:** حُذف مفعول «عززنا»، والتقدير: فعززناهما بثالث، وإنما جنح إلى هذا الحذف لأن الغرض ذكر المعزِّز به، وهو شمعون، وما لطف فيه من التدبير حتى عزّ الحق وذلّ الباطل. وإذا كان الكلام منصبًّا إلى غرض من الأغراض جُعل سياقه له وتوجّهه إليه، كأن ما سواه مرفوض مطّرح. ونظيره قولك: حكم السلطان اليوم بالحق؛ فالغرض المسوق إليه قولك: «بالحق»، ولذلك رُفض ذكر المحكوم له والمحكوم عليه.[33]

4. تدرّج التأكيد في قوله تعالى: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾: يبدو التأكيد في هذه الآيات في أروع صوره؛ فقد قال أولًا: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ فأورد الكلام ابتدائيِّ الخبر، ثم قال: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾ فأكّده بمؤكدين، هما: «إنّ» واسمية الجملة، فأورده طلبيًّا، ثم قال: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ فترقّى في التأكيد بثلاثة مؤكدات، هي: «إنّ» واللام واسمية الجملة، فأورده إنكاريِّ الخبر جوابًا عن إنكارهم. وقيل: في قوله: ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ﴾ تأكيد رابع، وهو إجراء الكلام مجرى القسم في التأكيد به، وفي أنه يُجاب بما يُجاب به القسم.[34]

5. اختيار اسم «الرحمن» في قوله تعالى : وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ: في ذكر «الرحمن» إشارة إلى الرد عليهم؛ لأن الله تعالى لمّا كان رحمن الدنيا، وكان الإرسال رحمة، فكيف لا ينزل رحمته وهو الرحمن؟ فكأنه قال: إنهم قالوا: ما أنزل الرحمن شيئًا، وكيف لا ينزل الرحمن -مع كونه رحمن- شيئًا هو الرحمة الكاملة؟[35]

6. الاستفهام في قوله تعالى : أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً: لو قال : لا أتخذ» لصحّ من السامع أن يقول له: لِمَ لا تتخذ؟ فيسأله عن السبب، فإذا قال: «أأتخذ» كان في كلامه أنه مستغنٍ عن بيان السبب الذي يُطالَب به عند الإخبار.[36]

7. التعدية والترتيب في قوله تعالى: **﴿إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ﴾:** قال: «إن يردن الرحمن بضر» ولم يقل: «إن يرد الرحمن بي ضرًّا»؛ لأن الفعل إذا كان متعديًا إلى مفعول واحد تعدّى إلى مفعولين بحرف، كما يتعدى اللازم بحرف في قولهم: ذهب به، وخرج به ثم إن المتكلم البليغ يجعل المفعول بغير حرف ما هو أولى بوقوع الفعل عليه، ويجعل الآخر مفعولًا بحرف. ثم قال تعالى: ﴿لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ﴾ على ترتيب ما يقع من العقلاء؛ وذلك أن من يريد دفع الضر عن شخص أضرّ به غيره يدفع بالوجه الأحسن، فيشفع أولًا، فإن قُبلت شفاعته وإلا دفع.[37]

8. قوله تعالى: **﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ﴾** دون **«بربي»:** إن قيل: لِمَ قال من قبل: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [يس: 22]، وقال هاهنا: ﴿آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ ولم يقل: آمنت بربي؟ قيل: على القول بأن الخطاب مع الرسل فالأمر ظاهر؛ لأنه لما قال: «آمنت بربكم» ظهر عند الرسل أنه قبِل قولهم وآمن بالرب الذي دعوه إليه، ولو قال: «بربي» لعلهم كانوا يقولون: كل كافر يقول: لي رب، وأنا مؤمن بربي. وأما على القول بأن الخطاب مع الكفار ففيه بيان للتوحيد؛ لأنه لما قال: «أعبد الذي فطرني »ثم قال: «آمنت

---

[31] الرازي، مفاتيح الغيب، 26/256.

[32] الرازي، مفاتيح الغيب، 26/256.

[33] محمود بن عبد الرحيم صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه (دمشق: دار الرشيد؛ بيروت: مؤسسة الإيمان، ط3، 1416/1995)، 22/296.

[34] صافي، الجدول في إعراب القرآن، 22/298.

[35] الرازي، مفاتيح الغيب، 26/261.

[36] الرازي، مفاتيح الغيب، 26/265.

[37] الرازي، مفاتيح الغيب، 26/266.

بربكم» فُهم أنه يقول: ربي وربكم واحد، وهو الذي فطرني، وهو بعينه ربكم، بخلاف ما لو قال: آمنت بربي، فيقول الكافر: وأنا أيضًا آمنت بربي.[38]

9. الاستعارة في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾: شُبّهوا بالنار على سبيل الاستعارة المكنية، والخمود تخييل، وفي ذلك رمز إلى أن الحي كشعلة النار، والميت كالرماد. ويجوز أن تكون الاستعارة تصريحية تبعية في «الخمود» بمعنى البرودة والسكون؛ لأن الروح لفزعها عند الصيحة تندفع إلى الباطن دفعة واحدة، ثم تنحصر فتنطفئ الحرارة الغريزية لانحصارها. ولعل في العدول عن «هامدون» إلى «خامدون» رمزًا خفيًّا إلى البعث بعد الموت. وفي قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ أيضًا إشارة إلى سرعة الهلاك.[39]

المبحث السادس: الدروس والعبر

١- أن تكذيب الرسل وما جاؤوا به من الحق يورث صاحبه مزيد الألم والندامة والحسرة.

٢- أن ضرب المثل والنصيحة من أنجع طرق الإنذار والتنبيه.

٣- أن الله تعالى ينصر أنبياءه وأتباعهم عاجلًا أو آجلًا إذا آذاهم أقوامهم.

٤- أن كثيرًا من الأمم الكافرة تعجّبوا من كون أنبيائهم بشرًا مثلهم، وظنوا أن الرسل ينبغي أن يكونوا ملائكة لا بشرًا.

٥- أن الله تعالى كثيرًا ما ابتلى الأنبياء وأتباعهم بإيذاء أقوامهم لهم: بالقول، أو باليد، أو في الأموال.

٦- أن الله تعالى أمر الأنبياء وأتباعهم بالتبليغ، أما الهداية والإضلال فبيده سبحانه، يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ولا دخل للأنبياء في ذلك.

٧- أن الأنبياء لا يريدون من أقوامهم مالًا ولا أجرًا، وإنما يريدون أن يتبعوهم، ويؤمنوا بالله عز وجل، ويهتدوا إلى الصراط المستقيم.

٨- أن الله تعالى يضاعف أجر الصابرين والمخلصين في الآخرة.

٩- أن العذاب والعقاب كثيرًا ما يأتيان بغتة وفجأة.

١٠- أن الله تعالى أهلك قوم حبيب النجار بصيحة واحدة، وفي هذا إشارة إلى أن منزلة الكفار عند الله حقيرة، وأنه لا قيمة لهم حتى أهلكهم بشيء يسير.

الخاتمة

في ختام هذا البحث يمكن إجمال أهم النتائج فيما يأتي:

١- اشتهر عند كثير من السلف والخلف أن القرية المذكورة في سورة يس هي أنطاكية، غير أن بعض العلماء استشكل ذلك؛ لأن أنطاكية كانت أول مدينة آمنت بالمسيح، وأهل هذه القرية كذّبوا رسلهم وأهلكوا.

٢- تعددت الروايات في أسماء الرسل الثلاثة، وفي كونهم رسلًا من الله ابتداءً أو حواريين أرسلهم عيسى عليه السلام.

٣- الرجل الذي جاء من أقصى المدينة هو حبيب النجار، واختلفت الروايات في صنعته، وسبب إيمانه، وكيفية قتله.

٤- اشتملت الآيات على لطائف بلاغية متعددة، أبرزها: تدرّج التأكيد بحسب حال المخاطَب، والحذف لتوجيه الكلام إلى الغرض المقصود، والاستفهام، واختيار اسم «الرحمن»، والاستعارة في «خامدون».

---

[38] الرازي، مفاتيح الغيب، 26/267.

[39] صافي، الجدول في إعراب القرآن، 23/6.

٥- تضمنت القصة دروسًا وعبرًا في الدعوة إلى الله، والصبر على الأذى، وبيان سنة الله تعالى في نصر رسله وإهلاك المكذبين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. البداية والنهاية. تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي. د.م: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1417-1420هـ.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم. وضع حواشيه محمد حسين شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419/1998.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. تحقيق محمد عبد القادر عطا - مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1412/1992.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي. زاد المسير في علم التفسير. تحقيق عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1422هـ.

إسماعيل حقي، ابن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي. روح البيان. بيروت: دار الفكر، د.ت.

الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد. حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي = عناية القاضي وكفاية الراضي. بيروت: دار صادر، د.ت.

الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر. مفاتيح الغيب. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3 ، 1420هـ.

الزحيلي، وهبة بن مصطفى. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. دمشق: دار الفكر؛ بيروت: دار الفكر المعاصر، ط1، 1411/1991.

السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد. بحر العلوم. د.م: د.ن، د.ت.

صافي، محمود بن عبد الرحيم. الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه. دمشق: دار الرشيد؛ بيروت: مؤسسة الإيمان، ط3، 1416/1995.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. تاريخ الرسل والملوك. مصر: دار المعارف، ط2، 1387/1967.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. مكة المكرمة: دار التربية والتراث، د.ت.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن. تحقيق أحمد البردوني - إبراهيم أطفيش. القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، 1384/1964.

المقدشي، المطهر بن طاهر. البدء والتاريخ. اعتنى بنشره كليمان هوار. باريس: أرنست لرو، 1899-1919م.

النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي. غرائب القرآن ورغائب الفرقان. تحقيق زكريا عميرات. بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ.